الحرب وهو الامر الذي يهمنا بنوع خاص الآن فانا آخر من يقول انهُ لا توجد الاَّ طريقة واحدة للنجاة ولكنني لا ازال اعتقد ان الحامض الكربوليك غير المخفف اصلح مضادات الفساد التي يمكن الاعتماد عليها في ميادين القتال وهو تؤيد كلمة السر جمس كرتشتون برون «العود الى لستر»

لقد قيل في غابر الزمن ان العلم سيبطل الحرب لانهُ يجعل ويلاتها اشد من ان تحتمل. فهل وصلنا الى هذه الغاية . ولا شيء يبطل فساد الجروح ما لم تبطل الحروب

بين الصين واليابان

توتَّرت العلاقات بين الصين واليابان وصارت الحرب بينهما على قاب قوسين او ادنى فرأينا ان نبسط اسباب الخلاف بينهما معتمدين في ذلك على ما كتبهُ احد مشاهير الكتاب في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر وهو ثقة في ما كتب

ان السبب القريب لحدوث ما حدث هو فوز اليابان على الالمان في كياوتشاو واخذها منهم في ٦ نوفمبر الماضي وهي بلاد صينية استأجرها الالمان من الصين لتسع وتسعين سنة وحصَّنوها وجعلوها قاعدة لاسطولهم وجنودهم عازمين ان يتخذوها مفتاحاً لبلاد الصين الواسعة الارجاء. وقد حاربت اليابان الالمان في كياوتشاو واخذتها منهم انتصاراً لبريطانيا وحليفاتها لا انتصاراً للصين فبقيت الصين على الحياد التام . ولم يكن اخذ اليابان لها من المانيا ممَّا ترحَّب بهِ الصين لانهُ اوقعها في مشاكل جديدة وهو سبب توتُّر العلاقات الآن لا لانهُ دعا الى ذلك بذاته بل لانهُ فتح باب المشاكل القديمة بينها وبين اليابان وهاك تاريخ هذه المشاكل

من المرجح ان المخابرات السياسيَّة ابتدأت بين الصين واليابان على اثر اجتياح الصين لشمال كوريا واواسطها سنة ١٠٦ قبل الميلاد اي منذ ٢٠٣٠ سنة وان اليابان كانت نافذة الكلمة في جنوب كوريا في اوائل التاريخ المسيحي كما كانت الصين في شمالها . وظل ميزان سياسة كوريا في يد اليابان الى اوائل القرن السابع المسيحي . وكانت كوريا حينئذٍ مقسومة الى ممالك صغيرة ثم اتحدت في القرن العاشر وظلت مستقلة ولكنها كانت تدفع جزية سنوية للصين احتراماً لها واعترافاً بتفوقها عليها

وضُمَّت كوريا الى اليابان منذ خمس سنوات كما لا يخفى وهي الصلة بينها وبين الصين وقد كانت كذلك من سالف العهد . وكل ما بلغ اليابان من علوم الصين وآدابها وديانتها

وفلسفتها انما انتقل اليها بطريق كوريا . وكل ما اصاب اليابان من المشاكل بينها وبين الصين وروسيا اصابها بسبب كوريا . وكوريا متصلة بمنشوريا الصينية من الغرب وبسيبريا الروسية من الشمال و يفصل بينها وبين اليابان بحر ضيق فان جزيرة صوشيما احدى جزائر اليابان لا تبعد عن كوريا سوى ثلاثين ميلاً

ودامت الصلات بين الصين واليابان الى القرن السابع عشر حينما طرأ على اليابان من المشاكل الداخلية ما جعلها تنزوي مدة من الزمن ولكن هذه الصلات لم تغير شيئاً من اخلاق الشعبين وعاداتهم واحوالهم المعاشية فبقيا مستقلين في لغاتهم ومساكنهم وملابسهم ومآكلهم ومحاسنهم ومعايبهم . وقد اقتبس اليابانيون كثيراً من علوم الصين وفنونها وفلسفتها ولكنهم بقوا على استقلالهم في مميزاتهم القومية

ولما دخلت اليابان ميدان السياسة الدولي الحديث في اواخر القرن الماضي واستفاقت الصين من سباتها الطويل وتبسطت روسيا في شرق اسيا وقعت المنافسة بين هذه الممالك الثلاث فكان ميدانها كوريا لانها واقعة بينها . ولو كانت كوريا مملكة عزيزة الجانب لكانت خير فاصل بين هذه الممالك ولكنها كانت منقسمة بعضها على بعض لا تحمد الفتن منها ولا سيما لانها كانت تحت سيادة الصين والصين حالها معلوم

والحرب الاولى بين الصين واليابان التي أعلنت في اول اغسطس سنة ١٨٩٤ كان سببها ثورة في كوريا فان الجنود الذين ارسلتهم الصين لقمع هذه الثورة اقتتلوا مع جنود من اليابان لان الصين ابت ان تشاركها اليابان في اصلاح كوريا فاغرق طراد ياباني النقالات الصينية وحدثت معركة اسان في كوريا وامتدت الحرب الى ساحل منشوريا واستولى اليابانيون على بورت ارثر وكان فيها اكبر دار صنعة صينية . ولما وضعت تلك الحرب اوزارها عقدت شروط الصلح في ١٧ ابريل سنة ١٨٩٥ وقد جاء فيها « ان الصين تعترف بان كوريا مستقلة استقلالاً تاماً فلا يطلب منها في المستقبل جزية ولا شيء من الرسوم والمظاهر التي كانت تشير الى سيادة الصين عليها » واعطت الصين لليابان شبه جزيرة لياوتنغ (التي فيها بورت ارثر) وجزيرة فورموسا . وللحال نهضت روسيا وفرنسا والمانيا وانتصرن للصين وطلبن ان لا يؤخذ من بلادها شيء فاضطرت اليابان ان تجلي عن منشوريا واكتفت بجزيرة فورموسا جزاء احرازها الاستقلال لكوريا

وفي المعاهدة التي عقدت بين روسيا والصين سنة ١٦٩٨ اجعل الحد الفاصل بينهما وراء نهر امور شمالاً . ولم تستول روسيا على نهر امور الاَّ وقت حرب القرم اذ سُدَّ عليها طريق

البحر الاسود . وسنة ٨٦٠ اعترفت الصين لروسيا باستلاك كل البلاد شرقي نهر امور وسنة ٨٧٥ اعطت روسيا بعض الجزائر لليابان واخذت منها جزيرة سخالين فاتصلت بكوريا وعززت مرفأ ڤيلاديفوستك ولكنها وجدته يجلد شتاء فاضطرت الى الاستيلاء على مرفإ آخر تمد اليه سكتها الحديدية وتصل به الى الاوقيانوس الپاسيفيكي فلم تجد افضل من پورت ارثر فتربصت الى ان انتزعتها دول اوربا من اليابان كما تقدم فاستأجرتها من الصين خمس وعشرين سنة متذرعة الى ذلك باستئجار المانيا لكياوتشاو وقد اكتفت بخمس وعشرين سنة لانها كانت تحسب ان انحلال الصين اصبح قريباً فتحل وتجزأ قبل انتهاء هذه المدة . وتمت سكة الحديد الروسية من موسكو الى پورت ارثر سنة ١٩٠١ فصار لها في البلاد الصينية سكة طولها ١٦٠٠ ميل ومرفأ محصّن من امنع مرافئ الدنيا وهو پورت ارثر المشهور

فرأت اليابان ذلك ولم تستطع ان تكظم غيظها لان پورت ارثر كانت لها بحق الغلب فاخذتها روسيا وجعلت تزاحمها بها فشهرت الحرب عليها في فبراير سنة ١٩٠٤ واستولت على پورت ارثر عنوةً في اول يناير سنة ١٩٠٥ كما هو مشهور واخذت كل ما كان في يد روسيا من جنوب منشوريا . وعُقدت معاهدة الصلح في پورتسموث بالولايات المتحدة في ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ وجاء في بعض بنودها ما يأتي

البند الاول يكون من الآن فصاعداً صلح وصداقة بين صاحبي الجلالة امبراطور اليابان وامبراطور الروس وبين بلاديهما وشعبيهما

البند الثاني تعترف الحكومة الامبراطورية الروسية أن لليابان في كوريا مصالح عظيمة سياسية وحربية ومعاشية تفوق مصالح غيرها فتتعهد بانها لا تقاوم ولا تعارض الحكومة الامبراطورية اليابانية في ما تجري عليه من الاساليب التي تراها لازمة لحماية كوريا وارشادها وادارتها ...

البند الثالث تعهد اليابان وروسيا كتابها معاً

اولاً ان تجليا عن منشوريا كليةً في وقت واحد ما عدا البلاد التي يشملها ايجار شبه جزيرة لياوتنج

ثانياً ان تردا الى الصين كل البلاد التي تحتلها او تديرها الجنود اليابانية او الصينية من منشوريا ما عدا البلاد المذكورة آنفاً . وتعترف الحكومة الامبراطورية الروسية ان ليس لها في منشوريا امتيازات تامةً او تفضيليةً تضرُّ بالسيادة الصينية او تجعلها ممتازة على غيرها من الدول في شيء

البند الخامس تتنازل الحكومة الامبراطورية الروسية للحكومة الامبراطورية اليابانية برضا حكومة الصين عن ايجار بورت ارثر وتاليان والبلاد المجاورة لها وكل الحقوق والامتيازات المتعلقة بهذا الايجار وكل الاعمال العمومية والاملاك التي في البلاد التي يشملها هذا الايجار

البند السادس تتعهد حكومة الامبراطورية الروسية انها تتنازل لحكومة اليابان الامبراطورية بمصادقة الحكومة العينية وبدون ثمن عن سكة الحديد بين تشانغشون وبورت ارثر وكل فروعها وكل ما يتعلق بها من الحقوق والامتيازات والاملاك في تلك الجهة وكل مناجم الفحم الحجري فيها الخاصة بتلك السكة او المفتوحة لفائدتها

البند السابع تتعهد اليابان وروسيا انهما تستخدمان سكتيهما الحديديتين في منشوريا لاجل الاعمال التجارية لا غير ولا تستعملانهما لاعمال حربية مطلقاً وذلك لا يشمل السكة التي تدخل في ايجار لياوتنج

البند التاسع تتنازل الحكومة الامبراطورية الروسية للحكومة الامبراطورية اليابانية عن النصف الجنوبي من جزيرة صغالين وكل الجزائر المجاورة لهُ وكل الاعمال العمومية التي فيهِ وتكون الدرجة الخمسين من العرض الحد الشمالي للجزء الذي صار التنازل عنهُ

وهناك بند اضافي يقال فيهِ انهُ يحق لكل من الدولتين المتعاقدتين ان تبقي ١٥ جندياً لكل ما طولهُ كيلو متر من سكة الحديد التابعة لها للمحافظة عليهِ

وقد قيل في البند الثاني من هذه المعاهدة ان مصالح اليابان في كوريا عظيمة تفوق مصالح غيرها . وسبب ذلك واضح وهو انهُ من حين استقلّت كوريا جعلت مصالح اليابان تزيد فيها وتزاد ضعف كوريا من الداخل والضغط عليها من الخارج فبسطت اليابان حمايتها عليها سنة ١٩٠٤ ثم اقامت فيها نائباً عنها واخيراً ضمتها اليها في ٢٩ اغسطس سنة ١٩١٠ واعطي امبراطور كوريا رتباً والقاباً تصلح لهُ ورواتباً مناسبة لها ومُنحت الرتب لكبراء كوريا اسكاتاً لهم فانقضى استقلال تلك المملكة وكاد اسمها يتغير ويبدل باسم تشوسن . والمرجح انهُ لو استتب الفوز للروس في حربهم مع اليابان لامتلكوا كوريا ومنشوريا ايضاً اما اليابان فانها اكتفت بكوريا وابقت منشوريا للصين

ومن حين تنازلت روسيا لليابان عن حقوقها في جنوب منشوريا اخذت اليابان تزيد مصالحها في تلك البلاد فبلغ طول سكتها الحديدية ٧٠٠ ميل سنة ١٩١٣ وطول الخط

الذي يخص روسيا في شمالي منشوريا ١١٠٠ ميل وكثافها لقيم الجنود المسلحة لحماية خطوا وقد اتفقتا سنة ١٩١٠ على صيانة الصين ومنع تجزئتها

والذي يخشى منهُ على الصين الآن هو اتفاق الطامعين فيها او ابتعادهم كلهم عنها ما عدا واحداً. ولا مأمن لها الا اذا بقوا كلهم بعيدين عنها او بقي الاختلاف ضارباً بينهم. ولقد امنت شرهم قبلاً لما كانت في عزلة عنهم اما الآن وتكاد اليابان تنفرد في التشوف اليها فالخوف منها شديد. واليابان عاملة بحزم وعزم فقد تألفت فيها شركة رأس مالها الخصوصي مئتا الف جنيه تولّت ادارة سكة الحديد في منشوريا وجعلت قيمتها للحكومة عشرة ملايين من الجنيهات واصدرت سندات قيمتها ١٢ مليوناً من الجنيهات ضمنتها الحكومة اليابانية هي وفائدتها فاشترى اكثرها الانكليز واستعمل ثمنها في تشغيل السكة. ولا تقتصر هذه الشركة على تشغيل السكة بل قد ابتاعت سفناً كثيرة تخر البحار ومنجم الفحم في فوشون ويقدّر ما فيهِ بالف مليون طن لان عمق طبقة الفحم فيهِ من ٢٥ الى ١٨٠ قدماً وقد بلغ ما كان يستخرج منهُ في اليوم ٣٠٠٠ طن سنة ١٩١٣ ولا بدَّ من ان يكون ما يستخرج منهُ الآن قد تضاعف. وابتاعت ايضاً مناجم نيتاي. وهي تولد الكهربائية والغاز وترسلها الى كثير من المدن ولها فنادق كبيرة فيها كلها وخمسون الف فدان من الارض ثلثها مؤجر لبناء المنازل وعندها مستشفيات ومدارس ومدرسة طبية ومدرسة صناعية وهي تبني البيوت وتمهد الطرق وتمد خطوط التلغراف والتلفون. ويقال بالاختصار ان هذه الشركة تدير كل جنوب منشوريا بدل حكومة اليابان. وقد بلغ الربح الذي وزعتهُ سنة ١٩١٣ على الاسهم الخصوصية سبعة في المئة وعلى اسهم الحكومة ٢ ½ في المئة والذي وزّع جزء صغير من الربح واما الجزء الاكبر منهُ فاضيف الى رأس المال واستعمل في توسيع اعمال الشركة

وقد نجحت منشوريا بعد دخول اليابانيين اليها فانهم لم يكتفوا بمد سكة الحديد بل نشّطوا الاعمال الصناعية وادخلوا صنائع جديدة وساكنوا الصينيين وعلموهم استعمال الآلات والادوات الجديدة وعلّموا اولادهم في المدارس وطببوا مرضاهم في المستشفيات فزادت عمارة البلاد ونشأت فيها مدن جديدة. وكان عدد اليابانيين في ما يجاور سكة الحديد في منشوريا ٨٦٦٤٦ سنة ١٩١٣ فبلغوا الآن ٢٠٠٠٠٠ وبلغ عدد الكوريين الذين معهم ٣٠٠٠٠٠ وكلهم من رعايا اليابان وهم متفرقون في البلاد بين سكانها الذين يبلغ عددهم احد عشر مليوناً فلو وُجد هناك مئة الف من الانكليز بعيدين عن قناصلهم لماتوا جوعاً ولكن اليابانيين يعيشون

ويفتنون لانهم غاية في التدبير والاقتصاد فان الصانع الياباني يعيش عيشة راضية على ثلث الاجرة التي يتقاضاها الصانع الاوربي ولا تكاد تكفي لمعيشته

الاَّ ان حكومة الصين لا ترحّب باليابان وعندها ان ابدالها روسيا بها في جنوب منشوريا ليس في مصلحتها بل في تفضل الروس على اليابانيين لانهم يكونون سدًّا فاصلاً بينها وبين اليابان . ولو لم تكن اليابان محالفة لانكلترا وفرنسا وروسيا لكانت تنتهز الفرصة الآن وتوقع بالصين او تمكن مركزها فيها ولكن لهذه الدول مصالح كبيرة في الصين فلا ترى اليابان من الحكمة والياقة انْ تنتهز فرصة انشغالهنَّ بالحرب وتزاحمهنَّ وتعرّض مصالحهنَّ للخطر . والمرجح ان شرفها وعزّة نفسها يمنعانها من اتيان شيء تلام عليه ولكن ذلك لا يمنعها من ان تحل محل المانيا في البلاد التي اخذتها منها لاسيما وان في البلاغ النهائي الذي بعثت به الى المانيا قبل محاربتها كلمة تشير الى ذلك حيث قالت انهُ يجب على المانيا « ان تسلم كل كياوتشاو لرجال حكومة اليابان الامبراطورية قبل السادس عشر من سبتمبر سنة ١٩١٤ من غير شرط ولا تعويض لكي تُرَدَّ اخيراً الى الصين » . فان كلمة « اخيراً » تحتمل المعنى البعيد اي عند انتهاء مدة الايجار او بعدها كما تحتمل المعنى القريب

ولا شبهة ان الصينيين يكرهون المانيا اكثر مما يكرهون روسيا ومع ذلك رضوا ان تبدل روسيا باليابان في بورت ارثر فهذا الابدال الآن لا يسوءهم لانهُ اخف الشرين

هذا ومن رأي الكاتب انهُ اذا تُرِكت الصين لنفسها الآن بعد ان دخلها الاجانب وصار لهم مصالح متناقضة فيها فآخرتها الخراب لا محالة لان سكانها الاربع مئة مليون لا يستطيعون ان يذودوا عن انفسهم ولا مال عندهم لبناء البوارج والحصون وعمل الاعمال الكبيرة . والضعف اضرّ بالممالك من كل شيء فلا يحتمل ان تنهض الصين وحدها كما نهضت اليابان لان اتساع بلادها وكثرة سكانها وصعوبة المواصلات فيها وقلة ماليتها ومشاكل حكومتها كل ذلك مما يمنع نهوضها كما نهضت اليابان

ويظهر لنا ان الامم كالافراد من هذا القبيل فاذا انتبه المرء لنفسه وحاول اصلاح شأنه قبل ان يتمكن منهُ عشراء السوء والذين يعتون الانتفاع بضعفه لم يجد صعوبة كبيرة في ذلك واما اذا غفل او تغافل حتى تمكن المفسدون منهُ لم يجد الى الاصلاح سبيلاً وهذا شأن الامم ايضاً